

تشظي الهوية وأزمة الانتماء عند جان سيناك

The fragmentation of identity and the crisis of belonging according to Jean Senec

محمد زعيتري*

جامعة الجزائر 2

Mohamed ZAITRI

University of Algiers 2

mohamed.zaitri@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2024/01/09 تاريخ القبول: 2024/04/17 تاريخ النشر: 2024/05/30

- الملخص: يهدف هذا المقال الى تسليط الضوء على جانب من جوانب حياة أحد المبدعين من الإقدام السوداء الذي ولد وعاش في الجزائر ودافع عن انتمائه لهذا الوطن حتى آخر يوم من حياته، وكان هذا الدفاع فنيا وقانونيا فكتب الإشعار والمقالات التي يصحّح فيها مباشرة بجزائريته رغم عدم نيّله الجنسية القانونية إلا أنه بقي وفيا لقضية هذا الوطن إبان الثورة التحريرية وحتى بعد الاستقلال. ولم يتوان عن تقديم شكاوى رسمية إلى الجهات المعنية بعد الاستقلال حيث راسل الكثيرين ممن عرفهم أيام النضال وأصبحوا بعد الثورة رجالا نافذين في الدولة. ورغم عراقيل اللغة واختلاف الدين وربما حتى العرق، لكنه أراد إثبات الهوية من خلال جوانب أخرى كمكان الميلاد وتشجيع الشعراء والأدباء من أصل جزائري على الكتابة والظهور للساحة الثقافية، الأمر الذي بثه في أشعاره وكتابته بشكل عام.

إنه الشاعر والأديب "جان سيناك" (1926-1973) الذي حاولنا تتبع بعض المحطات في حياته أين ثار من أجل نيل الاعتراف بحقه في الانتماء لهذا الوطن- بما قدّمه له إبان ثورة التحرير وحتى بعدها -، محاولين تقديم بعض الشواهد والقرائن على ما قدمه من تضحيات من أجل الجزائر والانتصار لقضية الاستقلال فكان أن أشرنا إلى بعض كتابته وتعرضنا لها بالشرح والتحليل، وأيضا عرضنا بعض مراسلاته الرسمية للجهات المسؤولة آنذاك. - الكلمات المفتاحية: جان سيناك، الانتماء، الهوية، الوطن، اللغة، الدين، الاستقلال.

- **Abstract:** This article aims to shed light on an aspect of the life of a Pieds-Noirs writer born in Algeria and who defended his belonging to this country until the last day of his life. This defense was artistic and legal. He wrote poems and articles in which he directly declared his Algerian belonging. Although he did not obtain legal Algerian nationality.

However, he remained loyal to the cause of this country during the liberation revolution and even after independence. He did not hesitate to lodge official complaints with the competent authorities after independence, he corresponded with those he knew during the struggle and who became influential men in the state after the revolution.

Despite the obstacles of language and the difference in religion and perhaps even race, but he wanted to prove identity through other aspects such as place of birth and through the encouragement of poets and writers of Algerian origin.

*- المؤلف المرسل

The subject he has disseminated in his poems and writings in general. It is the poet and writer "Jean Senac (1926-1973) whose stages of his life we have tried to retrace, where he revolted for the recognition of his right to belong to this country, trying to present some testimonies of the sacrifices he made towards Algeria and the victory of his cause, this is how we have referred to some of his writings and official correspondence and we have explained them and Analyzed.

- **Keywords:** Jean Senac - belonging - identity - homeland - language - religion _ independence

1- مقدمة:

إن ما ميز أدب شمال إفريقيا هو ذلك التمازج اللغوي والديني والعربي الذي أنتج الكثير من الأدباء والشعراء ورجال الفكر الذين يكتبون بالسنة مختلفة لكنهم ينتمون جغرافيا لنفس الرقعة الترابية والتي جعلتهم يطالبون بالانتماء السياسي الذي ينجم عنه الجنسية القانونية. ومن هنا جاز لنا أن نقول إن سلطة السياسة طغت على الواقع الثقافي وحاولت أن تصهر كل هذه التناقضات والاختلافات في بوتقة واحدة، لكنها ما فتئت تنبثق منها إرهابات الانتماء والهوية سواء الادبية ام الوطنية، والتي ترتبط أساسا بحب الأوطان في علاقة إلزامية تربط الانتماء بحب الوطن والعكس صحيح، فكلاهما ضرورة اجتماعية، وهذه القضية كان لها بصمة ذات أثر في الجزائر بداية من القرن العشرين أين بدأت تظهر على الساحة الثقافية والادبية وحتى السياسية الاصوات التي تنادي بحق الانتماء.

1-1. طرح الإشكالية:

تعتبر الهوية أهم مقوم لوجود الفرد، فمن خلالها ينتهي إلى مجموعة ووطن ودين، وهذا الانتماء يجعله يدخل في دائرة المجتمع فيتصف بصفاته ويحمل مبادئه، ومن هنا يصبح كل تصرف صادر عن هذا الفرد يعزي إلى رقعة جغرافية معينة وأمة بذاتها فيحمل قضاياها ويدافع عنها بفكره وماله ونفسه. ولما كان الشاعر والأديب جزء من المجتمع ولسان حاله فيما ينتجه من إبداع فإن تتبع آثار بعضهم يجعلنا نفهم بعض القضايا ونؤرخ لحقب زمنية مختلفة، وفي مقالنا هذا سنتتبع خط أحد الشعراء والأدباء الذين ولدوا في الجزائر ودافعوا عنها بماله وأدبه رغم ما وصف به من "قدم سوداء" وهو الشاعر والكاتب "جان سيناك" الملقب بـ "يحيى الوهراني"، وقد كانت للظروف التي عاشها أثر واضح في تبلور هويته رغم ما واجهه من صعوبات من يوم ميلاده إلى حين اغتياله في سنة 1973.

ولهذا وجب علينا توظيف المنهج التاريخي لتتبع محطات تطور هوية هذا الشاعر والأديب؛ وفق إجراءات تحليلية من خلال تناول بعض نصوصه الشعرية والنثرية والتي تختص بموضوع هويته.

الأمر الذي سنراه في تعقب مراحل حياة الأديب والشاعر الفرنكفوني "جان سيناك"، ومشكلة انتماءه إلى أي وطن.

وسنحاول الإجابة عن بعض الإشكاليات:

- من هو جان سيناك؟
- وبين الهويتين الجزائرية والفرنسية، هل استطاع "سيناك" تحديد إلى أي وجهة ينسب؟
- هل كانت اللغة عائقا في اندماجه في المجتمع الجزائري؟
- هل حاول فرض وجوده إلى وطن وأرض جزائرية؟
- هل حملت إبداعاته أزمة هويته أم أنها اقتصر على جانبها القانوني وهو الجنسية؟

2-1 أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد هوية هذا المبدع من خلال نشاطاته الاجتماعية والابداعية، وهل ميلاده في أرض الجزائر وعيشه فيها أعطاه أحقية نيل الجنسية الجزائرية، والانتماء لهذا الوطن.

2 - ترجمة جان سيناك jean senac:

هو أديب وشاعر ولد في مدينة بني صاف بالجزائر عام 1926 من أب مجهول وأم عجزية الأمر الذي جعله يعيش أزمة انتماء بيولوجي ونفسي وقانوني منذ ولادته ، فلم تكن الحياة التي عاشها "جان سيناك" سهلة نظرا لما عاناه بسبب هويته المفقودة منذ ولادته حيث لم يعرف له أبا غير ذاك الرجل الذي تزوج أمه بعد ولادته وأعطاه اسمه العائلي "سيناك" بعدما تخبط كثيرا بين أسماء عائلية مختلفة تعود إلى عائلة والدته أو حتى عائلة جدته من أمه وحتى اسم "يحيى الوهراني" الذي أطلقه على نفسه ترجمة لاسم "جان" ، ولم يقتصر الأمر على الاسم بل تعداه إلى اللغة والدين أحيانا أخرى ، فسيناك الذي ولد مسيحيا وعاش في الحي الأوروبي لم يكن من السهل عليه الاندماج في المجتمع الجزائري العربي المسلم لولا علاقته ببعض أصدقائه الأوروبيين الذين يتقنون العربية – من أمثال "روبار راندو" والذي كان متصرفا إداريا في البلدية وجعله احتكاكه بالمواطنين العرب يكتسب هذه اللغة بسهولة ، وأيضا "جان بوميه" والذي كان موظفا بولاية الجزائر العاصمة¹ فاستطاع بفضلهم التفتح على هذا المجتمع ومحاولة فهم قضيته ومن هنا ظهرت البوادر الأولى لبلورة هويته.

1-2- الهوية الجغرافية:

ان الحياة الحائرة التي عاشها جان سيناك بسبب بحثه الدائم عن هوية مفقودة في مجتمع كان يرزح تحت نير الاستعمار الفرنسي ثم في وطن مستقل سنت قوانينه بما لا يتماشى مع ظروف

هذا الاديب، جعلت من كتاباته لسان حال يترجم هذه الازمة فنجده في كثير من أعماله يصرح بجزائريته المفقودة رغم ميلاده في هذا الوطن وأنه جدير بهذه الجنسية مادام ولد على أرض هذا الوطن ودافع عنه في أعماله الادبية التي اصبحت ترجمان حقيقي لما يعيشه وما يحسه.

2-2 أزمة الهوية الجغرافية في أشعار "جان سيناك"

في قصيدة «Ordalie de novembre» نجد تصريح الشاعر الواضح بأحقية في هذه الأرض التي هي الجزائر بكل ما فيها من حسن وسيئ لأنها بالنسبة له الأم التي ولد فيها وعاش فيها وبالتالي فمن حقه الانتساب لها دون أي إقصاء 2

Cette terre est la mienne avec son amère liturgie,

Ses éclats orduriers, ses routes torves,

L'âme saccagée, le peuple las.

[...]

Cette terre est la mienne entre deux fuites fastes,

Deux charniers, deux désirs, deux songes de béton,

Et le chant d'une flûte en mes veines surprend

Le mal de Boabdil sous les murs de Grenade.

Mienne hors de la raison, mienne hors de vos saisons,

Vous pouvez mordre et mordre,

Sur une science si tendre, une joie si têtue,

Le chaos n'aura pas de prise

وهذه القصيدة تؤكد نظرة سيناك اليقينية إلى أحقيته في الانتماء لهذا الوطن نظير ما قدمه من تضحيات إبان ثورة التحرير الجزائرية وتطوعه لخدمة الثورة من داخل فرنسا حين التقى بطلبة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين الذي تأسس في 1955 بقيادة أحمد طالب الإبراهيمي وهنا بدأ سيناك النضال³ السياسي في الاتحاد وشرع في تنظيم الإضرابات عن الطعام وجمع التبرعات وقام بطبع جريدتي المقاومة والمجاهد في دار النشر سيبر في 4 كما ساهم بالكثير من المقالات التي كان يكتبها بإسماء مستعارة تحرض على الانضمام لثورة التحرير والوقوف الى جانبها باعتبارها ثورة شعب له الحق في العيش مستقلا وداحضا في ذات الوقت تلك الصفة التي حاول المستدمر الفرنسي أن يلصقها بالشعب الجزائري وبأنها ثورة جياع فقط

كما يصرح في قصيدة أخرى ببشرى استقلال هذا الوطن واطلاقه العنان لفرحته بالاحتفال
حين إعلان الجزائر مدينة مفتوحة فيقول.

Ce soir nous déclarons l'Algérie Terre Ouverte
Avec ses montagnes et sa mer,
Notre corps avec ses impasses.
Dans nos rêves à profusion que s'engouffre le Vent d'Ailleurs !
Citoyens innommés nos Portes sont atteintes. Ne tardez plus⁵

وهنا يؤكد الشاعر سيناك مرة أخرى أنه لن يتخلى عن مبدئه الراسخ في تحرر وطنه الجزائر
ويعلن بكل فخر عن هذا النصر، إلا أن الأمر لم يتوقف هنا فقط بل تعداه الى قصائد أخرى.

3-2 الهوية في النصوص النثرية لـ "جان سيناك"

وبعد الخوض في خفايا بعض أشعار "جان سيناك" سنلقي أيضا بعض الضوء عن
نصوص نثرية أخرى بث فيها ألمه ووجعه تجاه الانتماء لهذا الوطن بعيدا عن العنصرية والتفرقة
حسب الاسم والدين والاعراق،

« Que je me nomme Jean ne sera plus pour vous un signe d'injustice ⁶ . »

" أن يكون اسمي "جان" فهذا ليس رمزا يعطيكم الحق في اللاعدالة "
وهنا يرفض مرة أخرى التصنيف وفق الاسم وأن الأسماء الأجنبية لا أحقية لها في الانتماء
ويصف هذا الأمر باللاعدالة.

ويشفع هذا الرفض بما جاءت به رسالة مالك حداد التي استلمها سيناك سنة 1957 والتي
تقصي الأعراق الأخرى بعد الاستقلال ولا تعترف بجزائريتهم الكاملة

« Tu ne seras jamais accepté é demain, en Algérie, comme poète algérien. Tu
t'appelles Jean. La place ira de droit aux Malek, Omar, Kateb⁷

" لن تكون مقبولا غدا في الجزائر كشاعر جزائري لأن اسمك " جان "، فالمكانة ستكون من
حق مالك، عمر، كاتب "

وهذه الرسالة من مالك حداد ربما هي ترجمة قاسية للنظرة التي ستكون في المستقبل
للأقدام السوداء وحتى الأوروبيين الذين سيقفون في الجزائر المستقلة وهو الأمر الذي يستنكره
سيناك مرة أخرى فيكتب مناديا العقول المستنيرة لتقبل الاختلاف في الاعراق والديانات في جزائر
ما بعد الاستقلال فيقول:

Encore une fois, nous sommes réalistes. Nous savons que demain nous aurons des Européens en Algérie, Ce que nous voulons, c'est qu'ils soient « Algériens à part entière ».⁸

" مرة أخرى، نحن واقعيون، ونعرف أننا سنكون غدا مجرد أوروبيين في الجزائر، وما نريده أن نكون جزائريين كاملي الجزائرية "

وهذا خطاب يحمل نبرة أخرى من الرفض واستعمال سيناك لفظ " أوروبيين " هنا ليس تصنيفا ولكنه تعميم لكل الاعراق غير الجزائرية التي ستتخذ من الجزائر وطنًا لها وضرورة النظر إليهم بعين المساواة ما داموا دافعوا عن نفس القضية واختاروا هذا الوطن بيتا لهم ليوصل الشاعر والأديب جان سيناك نداءه للشباب لبناء وطن دون أعراق وتفرقة.

: « Jeunes gens, vous serez des hommes libres. Vous construirez l'autogestion, vous construirez une culture sans races. »⁹

" أيها الشباب ستكونون رجالا أحرارا، ستبنون ذواتكم، وستبنون ثقافة دون عرقيات " إن النظرة الاجتماعية التي يطرحها سيناك هنا تقوم على مبدأ فلسفي في الأساس يبنى على دعامة التكامل بغض النظر عن الاعراق والسلالات باعتبار المواطن لبنة في بناء الوطن مهما كان أصله، لأن الحكمة في التمازج الفكري والثقافي والاتحاد من أجل وطن واحد، لأنه يعترف بأحقية شعبه - كما يسميه- ويقصد الشعب الجزائري - في كتابة تاريخ هذا الوطن بأياد قوية ومزخرفة بألوان الحرية والانفتاح على الآخر دون رجعية أو إقصاء

Je n'écris pas notre histoire. Elle, c'est mon peuple qui l'écrit de ses doigts forts, décharnés, à la halte, sur les crosses 10

" لن أكتب تاريخنا، لأن شعبي سيكتبه بأصابعه القوية، المتعبة من حمل البنادق " وهذا مرة أخرى، اعتراف صريح بأن الشعب الجزائري هو شعبه وسيكتب تاريخه بأياد قوية رغم تعبها من مداعبة السلاح.

3- الهوية وأزمة اللغة عند " جان سيناك ":

3-1 اللغة وأزمتهما

Ces langues inconnues (les paternelles !) voici que leur hantise me reprend. L'essentiel, tu l'as oublié [...]. Ô toi qui es justice, tu as commis sur moi l'injustice la plus grave ! Tu t'es faite sur moi complice du bourreau. Regarde-les, ils parlent, et je ne les comprends pas ! Tu m'as donné mon peuple et tu m'as privé de sa langue ! Ô folie 3 ¹¹!

" هذه اللغات غير المعروفة، (لغة الآباء " تـؤرقني ... وتسـلط على سـياط الجـلاد، فـيا أيـها العـدل لمـاذا لم تـعـدل مـعـي، أنـظر إلـيـهم، إنـهم يـتـكـلمـون وـلا أفـهـمـهم، لـقد أعـطـيتـني شـعـبي وحرمتني لغته ... ما هذا الجنون "

نجد في هذا النص نبذة غضب وحزن من طرف الأديب الذي يسخر من هذه الصدفـة العجيبة التي جعلته يعيش في وطن شعبه يتكلمون لغة لا يفهمها رغم انتمائه هو أيضا لنفس الرقعة الجغرافية لكنه يبقى مقصى من الاندماج بسبب هذه الاعاقة اللغوية الأمر الذي سخر منه سيناك طويلا وحاول في كثير من المرات تعلم اللغة العربية، لكنه ورغم ارادته القوية وجهوده الكبيرة لم يستطع اتقانها وكانت بعض الكلمات القليلة التي فهمها واستعملها هي العزاء الوحيد، فيتوجه إلى العدل وكأنه قاض ويناشده الانصاف بعدما أجحف في حقه فيقول معاتبا: " يا أيها العدل، لقد ارتكبت عليّ أشد الظلم! لقد جعلت من نفسك شريك الجلاد علي. انظر إليهم، إنهم يتحدثون، وأنا لا أفهمهم! أعطيتني شعبي وحرمتني من لغتهم! "

2-3 الاشتراك في قضية الانتماء للوطن رغم اختلاف اللغة:

لكنه رغم هذا الإقصاء – في نظره- إلا أنه لم يفرط في انتمائه للجزائر وناضل من أجل قضيتها جنبا الى جنب مع إخوانه الجزائريين الناطقين بالعربية ويوجه إليهم خطابا صريحا يشرح فيه ضرورة الالتزام بالقضية الجزائرية رغم اختلاف الألسنة فيقول:

Notre situation est difficile mais exemplaire. Elle fait de nous des poètes présents, engagés, au même titre que nos compagnons de langue arabe, des écrivains authentiquement nationaux. [...] Écrivains du Relais, non pas sacrifiés, mais en perpétuelle vigie, peut-être agirons-nous comme des révélateurs ¹²

" وضعيتنا صعبة لكنها مثالية، ستجعل منا شعراء حاضرين وملتزمين، بنفس الطريقة التي يلتزم بها رفقاؤنا الناطقون بالعربية، كتاب وطنيون أصلا. كتاب جميع المراحل الذين لم يضحوا فقط؛ بل بقوا على عهد الاستمرارية. وربما سيعتبروننا إلى جانبهم من المحتفلين "

وهذا اعتراف آخر صريح اللهجة يحاول من خلاله تبين الإيمان الراسخ عند "سيناك" بأحقيته في نيل شرف الجنسية الجزائرية وهوما تعبر عنه العبارات التي تضمناها هذا النص والتي تحمل من القوة ما يجعلنا نتوقف عندها طويلا، فقلوه: "

وضعنا صعب ولكنه نموذجي، " هو توضيح للأزمة التي عانى منها "سيناك" طوال حياته ويصفها بالوضع الصعب لما تكبده من معاناة نفسية في تشظي هويته بين هويات عدة رفضت أن تفتح له أبوابها واحتضانه ليجد لنفسه مكانا بين شعوب العالم، ثم يستدرك هذا الاحساس ليفتح

نافذة أمل جديدة للانتماء رغم عراقيل اللغة فيقول: "إنه - أي هذا الوضع - يجعلنا حاضرين وشعراء ملتزمين، مثل رفاقنا الناطقين بالعربية، كتّاب وطنيين أصليين".
وهنا يظهر التمسك بالوطن والمواطنة حين يقول ملتزمين، كتاب وطنيين، أصليين وهذا الأخيرة تلمس كل التساؤلات السابقة عن مكانة "سيناك" بين الهويتين الجزائرية والفرنسية وبكلامه عن الاصلية فهو ينفي قطعيا الانتماء لفرنسا.
خاتمة:

وخلاصة القول إن سيناك بقي يدافع عن هويته الجزائرية ولا يرى فارقا يذكر بينه وبين أي مناضل جزائري. لأنه يعتبر الوطن هو البقعة من الأرض التي تستريح فيها النفس. فولادته في الجزائر وتسمية نفسه بـ "يحي الوهراني" جعلته يحس بجزائريته رغم كل ما نعت به من نعوت كمصطلح "قاوري" و"قدم سوداء" وحتى "الغجري" إلا أنه دافع وباستماتة كبيرة عما يجيش بداخله من انتماء حقيقي لهذا الوطن الذي بقي فيه حتى بعد الاستقلال وهجر الكثير من الجاليات الأخرى له.

ورغم الهوية الممزقة التي عاشها سيناك وعبر عنها كثيرا في أشعاره ومقالاته ، فقد كان له من الشجاعة النزر الكبير في تصديه لكل ما يعترضه من أجل طمس هويته التي ناضل من أجلها منذ تفتقت قريحته على كتابة الشعر رغم جهله بلغة الشعب الذي يعيش في وسطه لكنه تشارك معه قضيته وهمومه ودافع عن قضية التحرر داخل وخارج الجزائر وضعى من أجلها بماله وقلمه وكان أحد الداعمين لثورة التحرير من قلب باريس وما انضمه للعمل السري بمعية اتحاد الطلبة الجزائريين وجمعه للتبرعات وطبع الجرائد والمجالات إلا دليل قطعي على انتائه للجزائر قلبا وقالبا رغم عدم نياله الجنسية الجزائرية القانونية لاعتبارات عدة إلى يوم اغتياله سنة 1973 لكنه وهب كل ما يملك لهذا الوطن وكانت آخر وصية له هي التبرع بكل رصيده الفكري والثقافي والأدبي للمكتبة الوطنية بالجزائر .

- قائمة المراجع:

1. Hamid Nacer-Khodja, Sénac chez Charlot , Pézenas, Domens (collection " Méditerranée vivante /Essais " ,2007, Essai. p.105
2. Jean Sénac, Ébauche du père, op. cit., p. 475-476. Ce poème s'intitule « Ordalie de novembre », et a été précisément rédigé entre le 1er et le 5 novembre 1966.
3. Mohamed Harbi, (2001), Une vie debout, Paris-Alger, La découverte-Syros et Casbah Editions, p193
4. Jean Sénac, Œuvres poétiques, (1999), pp. 478-479.
5. Jean Sénac, Ébauche du père, op. cit., p. 475-476. Ce poème s'intitule « Ordalie de novembre », et a été précisément rédigé entre le 1er et le 5 novembre 1966
6. Mohamed Harbi, (2001), Une vie debout, Paris-Alger, La découverte-Syros et Casbah Editions, p.193
7. Jean Sénac, Œuvres poétiques, (1999), p. 478-479.
8. Sénac, Œuvres poétiques, op. cit., p. 306
9. Jacques Miel, « Lettre à Jean-Pierre Péroncel- Hugoz, 22 décembre 1982 », reproduite dans Le soleil fraternel, 1985, p. 181.
10. Dans ElMoudjahid, 10 mai \95B, cité par André Mandouze, La révolution algérienne, op. cit., p. 96
11. Jean Sénac, Œuvres poétiques, 1999., p. 422.
12. Voir Jean Sénac, « Chant de transfiguration », dans Œuvres poétiques, op. cit., p. 285.
13. Jean Sénac, Ébauche du père, (1989), p. 105. C'est moi qui souligne
14. Jean Sénac, (1999), « Une littérature du relais », dans Pour un terre possible..., p. 294